

رمضان شهر التقوى والإخلاص



اللهم هذا شهر رمضان قد أطلنا فأكرمنا فيه بطاعتكم، واختتمه لنا بمغفرتك ورضوانك، وارزقنا فيه حسنة تقبلها منا، وزرها وصاعفها لنا، وما عملنا من سيناث فاغفره لنا، إنك غفور رحيم ودود كريم. شهر رمضان هو شهر التقوى والتقرب إلى الله عز وجل بالإقبال على الطاعات وهجر المعاشي والذنوب، على أمل التعرض لنفحات الكرم الإلهي والرحمة الربانية التي يفيض بها الله تعالى على عباده في هذا الشهر الفضيل. وفي بيان جانب من فضائل شهر رمضان، وأهمية الاجتهاد في التقرب إلى الله عز وجل خلال هذا الشهر، والسبيل إلى جهاد النفس وصولاً بها إلى مرتبة التقوى يتحدث الدكتور عبدالقدوس السامري، الباحث في إدارة البحوث في دائرة الشؤون الإسلامية عن ذلك حيث يستهل حديثه موضحاً أنه مع أوائل نسمات شهر رمضان الفضيل، يحتاج المسلم إلى أن يذكر نفسه وغيره بضرورة استثمار الأوقات المباركة ومواسم الرحمة والمغفرة في العمل للآخرة، وبضرورة الإفادة من الوقت ونفحات هذا الشهر وآثارها المباركة العاجلة والآجلة. لذا، فإنه من المهم بمكان أن ينتفع المسلم انتفاضة رحمانية روحانية رمضانية مع انطلاق هذا الشهر الكريم، ليزيل غبار المعاشي المتراكم، والوهن الذي أوهى القلوب والأفكار، فيعيid نور الفطرة إلى القلب المظلم، ويفادي الروح بمياه النقاء، ويكسو الجوارح بلباس التقوى، ويعطر كيانه بعبير التوبة، فيسلم من الصلالات، ويستل عن مجamine الھوى متشوفاً جوامع الھدى، ويطرد عن نفسه تلك الأدران التي ربما لحقته قبل إشراقة شمس رمضان مستفيداً من هذا الشهر وبركته، سالكاً هدى النبي

الخاتم (ص)، مقتدياً بكمال علوم همه (ص) في ذاته وأمته، ولاسيما في مثل هذه الأوقات الفاصلة والمواسم الفاصلة في حياة المسلم. - أفضل الشهور عند الله: لا شك في أن أفضل الشهور عند الله عز وجل شهر رمضان، ولعظيم مكانة هذا الشهر كان رسول الله (ص) يبحث الأمة على الإفادة من أوقاته وموسم نفحاته، إذ فيه فرصة استزادة رصيد مضمون من الحسنات، ولاسيما لمن أراد الجمع بين عز الدنيا ونعيم الآخرة، ولما فيه من تفويت الفرص على الشيطان ونوازع النفس الأمارة بالسوء من أن تتلف صاحبها أو تهدر عمره ووقته في غير النافع المفيد. ومعلوم أن الله تعالى فرض الصوم على الأمة الخاتمة، كما فرضه على من قبلها من الأمم، قال تعالى في: (يَمَّا أَيْمُونَا إِلَّا ذَرْنَاهُمْ كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَّامُ كَمَّا كُتُبَ عَلَى الْأَذْدِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (آل عمران/183). ولكل أمة شرعاً فيها، ولا شك في أن معاني التطهير حاضرة في سائر تشريعه جل جلاله للصوم، وأنه من أهم وسائل التنزيه الظاهرة التي تقود إلى تنزيهه الباطن مما قد تقع فيه الإنسانية من التعلق بالدنيا، والانغماس في ملاذها، إضافة إلى المعاني التي يحملها كالتجدد لله تعالى، والامتثال لأمره سبحانه، كما أن فيه من معاني ترويض النفس والخلق لتحمل سلوك طريق الهدایة والمصبر فيه، وهو من السبل الظاهرة الباهرة في تحقيق القرب من الله عز وجل. ولقد جعل أجر الصوم من منح الله تعالى، ولا دخل لأحد من الخائق في قبوله أو رفضه أو الإثابة عليه ومصاعفته أو رده على صاحبه، أو إنزال العقوبة على العبد بناء على نية أدائه، لاسيما إذا كانت على غير الوجه المطلوب، وقد جاء عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله (ص) قال: "كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعين ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان فرحة عند فطراه وفرحة عند لقاء ربها. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك" أخرجه مسلم في صحيحه. وهذا بيان لعظم فضل رمضان وكثرة ثوابه، ولاسيما الصوم فيه فإن الكريم تعالي إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه جزاء عبده اقتضى سعة العطاء وعظم قدر الجزاء. وفي معاني الصوم وأنواعه يقول أحد أهل العلم: الصوم ثلاثة: صوم الروح بقصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم. - (...لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ): ولقد علم المسلم من ظاهر قول الله تعالى: (...لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) المتقدم، والذي ختم به سبحانه نص تذكيره للمؤمنين بفرضه الصوم عليهم، أن الغاية العظمى التي ينال بها ثارها العبد القرب من ربها، ولاسيما بعد ركوب موج بحر رمضان، وتحمل آثاره، والتعلم في طلال مدرسته، وسعيه الحثيث إلى تحقيقها والوصول إلى معرفتها وقطف ثمرتها وهي التقوى. فعلينا أن نجدد العزم على تحقيق هذه النتيجة، ونجتهد في تحصيل هذه النفحة. يقول أبو الحسين الوراق: أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى، فإن منها تتشعب الخيرات وأسباب

القربة والتقارب، وأصل التقوى هو الإخلاص، وحقيقة التخلص عن كل شيء إلا من إليه تقواك، لا يصل العبد إلى شيء من التقوى حتى يكتمل زهده وورعه، والتقوى مفرونة بالراحة، أي من حيث الثمرة. قال تعالى في: (... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا) (الطلاق/2). لذا فعلينا أن نحرص على الوصول إلى صحة التقوى، التي هي من غايات الصوم، بترك سائر الذنوب، يقول سهل بن عبد الله، رحمة الله عليه، في قول الله تعالى في: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتَهُ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَرَتُمُ مُسْتَمْوِنَ) (آل عمران/102): لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله (ص)، وقد زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر، من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها. وقد جاء عن أحد أهل العلم أنه قال: من التزم التقوى اشتق إلى مفارقة الدنيا، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في: (... وَلَمَدَّ ارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأنعام/32). ولقد حقق الصحابة رضوان الله عليهم هذه النتيجة، ونالوا لذاتها، وسرت عليهم سنة الله تعالى في تهيئة الأسباب واستحقاق النتائج، فقال جلاله في الآية 26 من سورة الفتح: (... فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ مَهْمُوكَ لِمَةَ التَّسْقُوْيَ وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمَا). فهذه الآية وسائر نصوص القرآن الكريم المتعلقة بالتقوى تناطب أحجية اليوم والغد، وتحثهم على تحري وسائل تحصيل التقوى، وأن يكونوا أهلها وأحق بها كما كان من قبلهم. - الإخلاص ظاهراً وباطناً: على المسلم مع حرصه على أداء الصوم على الوجه المطلوب، ومحاولاته تحصيل تقوى القلوب وال النفوس وصحته، أن يحرص أشد الحرث على كسب الإخلاص ظاهراً وباطناً، واستحضاره في سائر أعماله وأحواله وأقوالهم، ودوام المراقبة عز وجل في ذلك، وحسن المعاملة معه ومع الخلق في الظاهر والباطن، إذ المسلم بحاجة دائمة إلى مراقبة نفسه وتنقيتها من الشوائب، وتنزيتها عن كل ما يقعدها عن الالتحاق بركب عباد الله الصالحين، فالمراقبة والمحاسبة ضرورة في تقدم العبد نحو النجاح والفلاح، وسموه الروحي، وهي أحب ما تكون في أربعة مواطن كما قال أهل العلم والتزكية: في ما بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الإخلاص والرياء، وفي ما بين الصدق والكذب. وفي مثل هذا قال المحاسبي مستنبطاً بعض اللطائف من القرآن الكريم: من اجتهد في باطنه ورثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسنت معاملته في ظاهره، مع جهد باطنه، ورثه الله تعالى الهدایة إليه لقوله تعالى في (العنکبوت/69): (وَالَّذِينَ حَاهَدُوا فَيَنَّا لَنَّهُمْ سُبُلَانَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ). فعلى المسلم أن يصح باطنه بالمراقبة والإخلاص والمجاهدة، ليزدبن الله ظاهره وباطنه بالهدایة والإحسان واتباع السنة.

